تجليات البطل المقاوم في المسرح الجزائري، مسرحية "حنبعل" لأحمد توفيق مدني أنموذجا.

محمد قشي(طالب دكتوراه)
عمر بن طرية.
مخبر البحث : النقد الأدبي و مصطلحاته
قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)

الملخص:

تحمل شخصية البطل المسرحي على العموم فكرة نبيلة غايتها دحر الظلم والاستبداد وكذا كل ما هو سيء وسلبي يضر أفراد مجتمعه هذه الفكرة مراده تحقيق شيء مفيد عن طريق التضحية بالنفس من أجل الآخرين، فهو ينظر إلى مصلحة أفراد مجتمعه قبل مصلحته الذاتية، وبهذا يكون البطل هو ربان السفينة التي يقودها حين تشتد الأزمات ،هذا الأخير يكون مؤمنا بعقيدة من العقائد , أو بهدف من الأهداف يصبو إليه ويرسو بالمجتمع على شاطئ الأمان والخلاص. وإذا ذهبنا إلى النتاج المسرحي الجزائري نجد هناك العديد من المؤلفين الذين نسجوا شخصياتهم وأبرزوها بوضوح متخذة من نفسها بطلة داخل النص المسرحي الجزائري.

Abstract:

The character of the theatrical hero stands generally on a noble idea whose gool is to defeat injustice and tyranny, along with everything that is bad or negative, and disadvantage the individuals of his community. This idea aims to a chieve something beneficial through self sacrifice for others. The hero seeks the best intrest of his community befor his own, and only this way he is the leader if something went wrong . this beind of character have a principle that he believes in and seeks to a chieve, in order to deliver his society to safety. If we chek the algerian thathrical production w find many authers who drew and hightlight their own characters to be main hero in algerian theathrical.

ونذكر على سبيل المثال مسرحية (بلال لمحمد العيد آل خليفة) ومسرحية (يوغورطة لعبد الرحمان ماضوي) و مسرحية (حنبعل لأحمد توفيق مدني) هذه الأخيرة التي هي محل دراستنا.

إن الإشكالية التي يحملها هذا البحث هي كيف تجلى البطل المقاوم في هذا النص المسرحي ؟ ومختلف أبعاده الثلاثة، الجسمية والاجتماعية والنفسية بالإضافة إلى علاقاته بالصراع؟ وتمسكه بالفكرة الأساسية، هذه الأسئلة وغيرها سوف يتم الإجابة عنها، ومن أجل ذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الذي رأيناه ملائما لهذه الدراسة.

يرى جوزيف كامبل بأن :«البطل هو ذلك الإنسان، سواء أكان رجلا , أم امرأة الذي لديه المقدرة على أن يكافح من خلال حدوده الشخصية والتاريخية والمكانية في سبيل الأشكال الإنسانية التي تتمتع بالصلاحية المطلقة، أما رؤاه وأفكاره إلهاماته تأتي نقية منبثقة من المنابع الأولى للحياة والفكر الإنسانيين» [1]

1 - ملخص مسرحية حنبعل : تتكون مسرحية حنبعل من أربعة فصول تدور أحداث القصة عبر صفحاتها 87 حول البطل القرطاجني " حنبعل " تبدأ في قاعة فسيحة وهي عبارة عن مجلس لكبار القبائل يتشاورون فيها حول أوضاع البلاد يتوسطها الكاهن الأكبر وعلى اليمين رجال قبيلة حنون وعلى اليسار رجال قبيلة برقة والكل في حالة سكوت وحيرة وكآبة لما آلت إليه أوضاع البلاد جرّاء المعركة التي انهزموا فيها ضد الرومان (معركة جاما) . أما بالنسبة لظهور شخصية البطل حنبعل لأول مرة في النص كان على لسان إحدى الشخصيات وهي عزرى بعل . الذي سأل الكاهن الأكبر عن مخلفات معركة "جاما" وعن حنبعل جيشه، وقد أجابه الكاهن بأن الجنود تلاشت وانهزموا في المعركة شر انهزام وأن الجيش الروماني متوجه نحوهم للقضاء عليهم وأنه بقيت فئة قليلة من الأشراف الشجعان الذين سوف يحاربون إلى آخر قطرة دم وآخر نفس لهم. بعد هذه الهزيمة رجع البطل القرطاجني حنبعل ليجد نفسه تحت ضغوط

روما التي أرغمته على مطالبها بالإضافة إلى الأسطول البحري لكنه لم ييأس , بل بعث بمعطى بعل إلى الأمم المقهورة لاستنهاض فيهم الهمم وروح المقاومة ، ولكن روما اكتشفت ذلك بواسطة الجوسسة وحذرت البطل القرطاجني من ذلك وفرضت عليهم أن يكفوا فورا عن مساعيهم بالإضافة إلى إرسال أسرى من أشراف القوم ، هذا الأمر الذي لم يتقبله حنبعل بعدما وافق المجلس والوزراء على ذلك خوفا من غضب روما فترك السلطة كملك وهاجر هو ومعطى بعل ومازيغ وصافو وبعض من الأشراف إلى "حضر موت" وقد كان همه الوحيد هو محاربة روما أينما حلت فقد كان كالسم بالنسبة لها، فحاربها مع "الملك أنطيوخس" ملك سوريا إلى أن انكسرت شوكة هذا الأخير لينتقل بعد ذلك إلى بلاد اليونان "مملكة بتينيا" لدى "الملك أبروزياس" الذي رحب به هو ومن هاجر معه ،فاغتنمت روما الفرصة وتطلب من الملك أن يسلم لهم حنبعل تحت إكراه أو يقوموا بتدمير مملكتهم وبعد التشاور مع وزرائه قرروا تسليمه هذا الأمر الذي لم يُعجب الملكة التي سارعت بإخباره بالأمر وأنهم خانوه وهو محاصر الآن، هذا الأمر أغضب معطى بعل كثيرا وأراد القتال لكن حنبعل منعه من رفع سيفه فيمن آواه واستقبله بالرغم من أنهم خانوه . ليفضل بعد ذلك بأن يحدث ثقبا في خاتمه ويشرب السم ويسقط صريعا بين يدي معطى بعل وصافو فقد فضل أن يقتل نفسه على أن يقع أسيرا بين يدي روما عاش عزيزا ومات عزيزا .

2 - ظهور البطل: أما بالنسبة لظهور شخصية البطل بنفسها في المسرحية فقد كانت لحظة محاولة المجلس القضاء على "عطبة" القائد البربري الذي أمر جنوده بالانسحاب من المعركة وهو ما لم يتقبلوه فألقوا القبض عليه واتهموه بالخيانة . " يهمّون بالفتك به ، عندها يصرخ صوت من وراء الباب، حنبعل العظيم! جاء حنبعل! فيلتفت المجتمعون كلهم صوب الباب ويدخل البطل القرطاجني بجلال لابسا درعه وحوله أربعة من أركان حربه، ويسير مسرعا إلى حيث عطبة . وهو يقول : كلا . لا تقتلوه ! ابتعدوا عنه أيها السفهاء. .." [2] لقد كان ظهوره بعد معركة "جاما" والتي انهزم فيها وتضاربت الأقوال حول موته أو بقائه حيا . ليدخل إلى المجلس ويفك قيود صديقه "عطبة" الذي اتهموه بالخيانة .

3 - أبعاد البطل في مسرحية حنبعل:

3 -1 البعد الجسمي: لم يرسم لنا الكاتب أحمد توفيق مدني الأبعاد الجسمية المعروفة من (سن وشكل الجسم إلخ..)، إلا أنه ذكر مقطعا في أواخر المسرحية يدل بعض الشيء على بعض الملامح الجسدية.

الملكة: أدخليهم حالا، (تقف لاستقبالهم). (يدخل حنبعل وقد ظهرت عليه علائم الشيخوخة ، وحوله رجاله الذين هاجروا معه وصافو، ينحنون جميعا أمام الملكة .)

حنبعل: ما بال مولاتي الملكة.؟ وهل من خطر يتهددها أو يهدد مملكة بتينيا؟ لقد أصبحت شيخا يا مولاتي، لكن سيفي لا يزال بتارا . في سبيل حرية الشعوب أحياء وفداء حرية الأمم أموات. [3]

هذا المقطع المباشر الذي نلاحظ فيه البعد الفيزيولوجي للبطل حنبعل لكننا نستنتج من خلال المسرحية أنه شخصية قوية البنية وهذا لأنه كثير المشاركة في المعارك والحروب الشرسة .

3 – 2 البعد الاجتماعي: البطل في المسرحية هو حنبعل وهو ملك (سبط) وقائد عسكري ويعد بطلا من أبطال الكفاح والمقاومة ويظهر هذا كثيرا في المسرحية .

الجندي: هذا وفد السيدات يا مولاي .[4]

الكاهن الأكبر: لا تزال مصائب القوم عظيمة يا مولاي. [5]

زرقون : أنت يا حنبعل بطل من أبطال الكفاح والنضال لكن ساعتنا هذه ساعة سياسة وحكمة. .. [6] ثم بعد ذلك تحول البطل القرطاجني حنبعل من سبط إلى مهاجر يقاوم ظلم الرومان في كل مكان فقد كان هاجسه الوحيد هو محاربة روما الظالمة.

حنبعل: ... لن يرى الظالمون وجهي في إفريقيا بعد اليوم، إنما سيرونني أعترض طريقهم في كل مكان، فإن لم استطع الدفاع عن أمتي فوق تراب الوطن، فسأدافع عن أمتي وعن وطني في كل مكان وفي كل ميدان... [7] لقد قرر البطل حنبعل الهجرة إلى الأرض التي لم تطأها روما بعد وهذا لأنه لم يستسغ طلبها بإعطائها أشراف المدينة كردة فعل لها لما تفطنت بأنه يجمع القوم المظلومين والمقهورين، غير أن المجلس والوزراء وافقوا على الطلب لذلك قال لهم :" لقد قضي الأمر وانتهى الجدال، فاختاروا لأنفسكم أيها القوم سبطا غيري، واستسلموا كما أردتم .." [8] وفي نهاية الفصل الثاني يرحل بعدها البطل حنبعل متجها إلى حضر موت هو ومازيغ ومعطى بعل وصافو وبعض الأشراف .

حين انتقاله إلى سوريا عند الملك أنطيوخس لم يتوقف عن محاربة الرومان ، بل واصل صراعه معها ويظهر هذا في بداية الفصل الثالث.

حنبعل: إن العمارة الصغيرة التي وضعتموها تحت أمرتي يا مولاي في آخر الوقت . قد توسطت بحر اليونان، واتخذت مركزها تعترض سير الأسطول الروماني .[9] بعد ذلك اتجه حنبعل إلى بلاد اليونان بعدما انهزم الملك أنطيوخس .ليواصل مشوار المقاومة .

لم تنزل مكانة البطل حنبعل رغم هجرته لوطنه فمكانته محفوظة في كل مكان يذهب إليه فبعد سوريا انتقل إلى دولة بتينيا والتي استقبلته هو والأفراد المهاجرون معه.

الملك : روما تعلم أننا آوينا حنبعل واستقبلناه استقبال الصديق العظيم وأحللناه المكانة اللائقة بمقامه الكبير، وأنها لتعلم كما يعلم الناس أجمعون أن هذا البطل هو الذي وطد أركان مُلكنا المتداعي، وأخضع خصومنا وأخمد جذور الحرب التي أوقدتها مملكة أومين، وأن الشعب قد أحبه ، والجند قد أفتتن به.[10] حنكته الحربية وخبرته الميدانية كملك وكقائد جعلت الشعب والجند يضعونه في مكانته المرموقة داخل المجتمع وهذا لنبله وصدقه وهذا ما لم يعجب روما بتاتا فقد أرسلت رسولا يحذر مملكة بتينيا .

فلامينيوس : أيها الملك أبروزياس إننا باسم مجلس الشيوخ وبأمر منه جئنا نشعركم بأننا نعلم المكانة التي نالها بينكم عدونا حنبعل ..[11] وبعد خيانته قرر الموت على أن يقع بين أيدي روما . عاش ملكا قائدا مقاوما ومات بعزة وشرف.

3 – 3 البعد النفسي: مع بداية ظهور الشخصية البطلة في النص المسرحي تبيّن لنا المزاج العكر الذي كان فيه.

حنبعل: كلا ، لا تقتلوه ! ابتعدوا عنه أيها السفهاء .[12]

وهذا بعدما ألقى جيشه القبض على صديقه "عطبة" واتهمه المجلس بالتخاذل والانسحاب أثناء المعركة وهم جالسون يأمرون وينهون داخل حصنهم ، وهذا ما أغضب حنبعل.

حنبعل : يا لكم من رجال صناديد ! يا لكم من أبطال! تستطيعون هنا بين جدران المجلس أن تجهزوا على جريح. لكن لم يكن واحد منكم إلى جانبي عندما استحر القتال، وعظم الكرب، وأحاط بي الأعداء في حومة الوغى، بمثلكم أيها القاعدون خسرنا المعركة، وسقط الوطن وأشرفنا على الهلاك. [13]

نلاحظ تذمر البطل حنبعل من رجال المجلس الذين ألقوا اللوم على عطبة ولكن في الحقيقة هم الذين تخاذلوا ولم يقدموا له المدد العسكري حينما كان يحاصر روما في عقر دارها وفضلوا الجلوس والمشاهدة بدلا من القتال وقد وصفهم حنبعل بالخونة وهذا ما يدل عل غضبه الشديد من قومه . ويظهر هذا في قوله :

حنبعل: إن عطبة ليس بخائن أيها القوم ، بل أنتم هم الخونة **(حركات وتأوهات مختلفة)** قدمتموهم وتأخرتم ، وأردتم أن يموت هو وقومه لكي تعيشوا .. [14]

كما يعد البطل حنبعل ذكي في الأمور الحربية والتكتيكية وكذا توقع حركة روما فبعد الهزيمة التي مني بها قال له المجلس بأنه يجب علينا التفاوض والتفاهم مع روما غير أنه تيقن بأنها لن ترحمهم.

حنبعل: هذه تجربة خطرة ، ستروون أن العدو عدو دائما، ومن انتظر من عدوه رحمة أو شفقة باء بخسران عظيم. وهذا بالفعل ما حدث حينما أتى لاتونيوس محذرا إياهم.[15]

لاتونيوس: إنني أقدم إليكم باسم مجلس الجمهورية الرومانية الإنذار الأخير إن لم تكفوا منذ الساعة عن هذه المساعي وتضعوا نهائيا حدا لهذه الدسائس وترسلوا معنا رهائن من أشرافكم فجندنا سوف يتقدم نحوكم في صبيحة الغد، ويحطم ما بقي من دولتكم قائما، ويجعل مدينتكم هذه كومة رماد.

حنبعل: (محتدا) قل لروما وللذين أرسلوك أنه لا تزال فينا بقية صالحة من الرجال وفي نفوسنا ما يكفي من شرف وهمة لقد كنا قبلنا شروطها الثقيلة وخضعنا مكرهين لإرادتها الصارمة، وسلمنا لها ما طلبت من قبل، أما المذلة والهوان، فلا لا لا.[16]

هذا الحوار الذي دار بين البطل حنبعل والقائد الروماني لاتونيوس يُبين لنا أن حنبعل غضب غضبا شديدا لأن الأمر يخص شرف الأمة، فلم يستسغ مطالبهم بإرسال أشراف الأمة كرهائن .بل وصل به الغضب لدرجة القسم .

حنبعل: وحق بعل وتانيت، وضحايا الوطن، وأرواح الشهداء لن تنال روما مني ترضية أخرى، الموت أحب إليّ. [17]

حنبعل: (بعد تفكير) كلا! إن رأس حنبعل لن تنحني أبدا أمام الظالمين. [18]

كانت هذه الحالة النفسية التي يمر بها البطل حنبعل من غضب وكره شديدين يكنهما لروما ومع ذلك فهو لا يريد أن يكون سببا في هلاك قومه فقام بالتخلي عن عرشه كملك فهو لا يقبل الذل و المهانة . وهذه الحالة النفسية جعلته يتخذ القرار بالرحيل والهجرة والتوجه صوب "حضر موت " مع بعض الأشراف بالإضافة إلى معطى بعل وخطيبته صافو ومازيغ .

حنبعل: لقد قضي الأمر وانتهى الجدال، فاختاروا لأنفسكم أيها القوم سبطا غيري واستسلموا لروما كما أردتم فسترون أنها ستدوسكم بالأقدام. [19]

وكما قلنا سابقا فإن حنبعل ذكي جدا في الأمور الحربية فبعد انتقاله إلى سوريا عمل كقائد حربي ضد روما، بل وأصبح مستشارا يستشيره الملك في الأمور الحربية ومثال ذلك.

الملك : ولنعم الرأي السديد، وهل نعتمد عليك يا بطل قرطاجنة لتنظيم الجند. الجديد.. [20]

الملك : الساعة حقا حرجة، فما رأيك يا حنبعل ؟ حنبعل: الانسحاب يا مولاي بأسرع ما يمكن ، فليس أمامك من الساعة يمكن أن تضيع ، فلتسرعوا بالقائد النعمان مع فرسان العرب ليحرسوا لكم معابر جبال الطوروس .. ولا تنسوا يا مولاي أن خطرا هائلا يترقبكم من جهة الجنوب، فاليهود هناك يتربصون بكم الدوائر، وأنهم لأصحاب مطامع ليس لها حد ..

الملك: سيكون كل ذلك حسب رأيك يا حنبعل..[21]

هذه هي حنكة ودهاء حنبعل الحربية فهو يقرأ جميع الحسابات وهذا ما يؤثر على أفعاله وقراراته التي تكون في معظمها صائبة وحكيمة فبالرغم من الغضب والكره الذي يكنه لرومة فهو لا يريد أن يكون في بلد تطأه هاته الأخيرة إلا أنه حكيم في أفعاله حتى وهو محاصر من طرف جنود "مملكة بتينيا" التي آوته في البداية وخذلته وخانته في النهاية وهذا بقوله لمعطى بعل.

حنبعل: كلا لا تشهروا السيوف في وجه من آونا ونصرونا ولو أنهم خدعونا من بعد مكرهين ... [22]

4 - البطل والصراع: الصراع هنا هو صراع خارجي بين قوتين متعارضتين إحداهما هي شخصية البطل القرطاجني والأخرى هي روما التي يحاول البطل حنبعل مواجهتها ومقاومتها . ويظهر الصراع منذ بداية المسرحية في الحوار بين الكاهن وحنبعل.

الكاهن الأكبر: أي حنبعل، العدو على الباب وجندك قد تلاشى أما "شيبو" وقرطاجنة باتت في كرب عظيم، وأنت اليوم سبطها الأعظم فماذا ترى؟ .

حنبعل: في رجالنا بقية صالحة، وفي مخازننا سلاح كثير، وأسوارنا منيعة ، وأقواتنا موفورة لنستعد هنا لتلقي صدمة الرومان، فلن ينالوا منا منالا. .[23]

كان هذا الحوار في الفصل الأول بعد هزيمة معركة "جاما" التي انطلق وبدأ الصراع بعدها في تنامي، حيث يرى البطل بأن المقاومة هي الحل الوحيد أمامهم . وفي بداية الفصل الثاني يزداد الصراع في الصعود وهذا بعدما استولت روما على الأسطول البحري ، وكذا الأراضي ، وهذا لم يعجب البطل حنبعل حيث إنه يريد القتال والثأر للهزيمة .

حنبعل: ... علينا بالعمل يا رجال؟ الاستعداد للأخذ بالثأر ومحو عار الوطن..[24] فقد قرر هو والمجلس بأن يرسلوا رسلا للأمم المقهورة لكي يبث فيهم روح المقاومة والأمل وهذا ما تفطنت له روما بواسطة الجوسسة .

حنبعل : وما كان من أمر رسالتك أيها الابن الحبيب ؟

معطى بعل: تغلغلت يا زعيم الأمة وفخر الوطن خلال نوميديا وموريطانيا وجبت بلاد الجنوب فاستنهضت الهمم وأيقظت الحمية في النفوس ..[25]

لاتونيوس : لقد بعثوني رسولا إليكم لأنذركم شر المقلب، ولأخبركم بأن رجال روما يعلمون ما خفي من أمركم وما ظهر وقد تحقق لديهم أنكم أيها السبط حنبعل ورجال دولتكم تؤلبون ضدنا الأمم وتثيرون علينا الأقوام الخاضعين وتستعدون للانتفاض عند أول فرصة .[26] بعد معرفة مجلس روما بخطط حنبعل للثأر والمقاومة أمرتهم على لسان مبعوثها لاتونيوس بأن تكف عن هذه المساعي، بل وأن ترسل معه رهائن من أشراف الأمة وإلا سوف تكون العاقبة وخيمة.

لاتونيوس: إنني أقدم إليكم باسم مجلس الجمهورية الرومانية الإنذار الأخير إن لم تكفوا منذ الساعة عن هذه المساعي ،وتضعوا نهائيا حدا لهذه الدسائس وترسلوا معنا رهائن من أشرافكم فجندنا سوف يتقدم نحوكم في صبيحة الغد ويحطم ما بقي من دولتكم قائما، ويجعل مدينتكم هذه كومة من رماد.

حنبعل: (محتدا) قل لروما وللذين أرسلوك أنه لا تزال فينا بقية صالحة من الرجال وفي نفوسنا ما يكفي من شرف وهمة لقد كنا قبلنا شروطها الثقيلة وخضعنا مكرهين لإرادتها الصارمة، وسلمنا لها ما طلبت من قبل، أما المذلة والهوان، فلا لالا.[27] لم يتقبل البطل حنبعل هذه الفكرة تماما غير أن المجلس رأى غير ذلك وهو بأن يمتثلوا لأوامر روما وطلباتها . وهنا قرر حنبعل ترك منصبه وبلاده على أن يقبل بطلب آخر منها.

حنبعل: وحق بعل وتانيت، وضحايا الوطن، وأرواح الشهداء لن تنال روما مني ترضية أخرى، الموت أحب إليّ.[28]

كان هذا في نهاية الفصل الثاني، ليزداد الصراع تنامي بعد ذلك في بداية الفصل الثالث حيث نجد أن البطل حنبعل هاجر إلى سوريا التي يحكمها الملك أنطيوخس الذي كان بدوره في حرب مع روما وقد أصبح حنبعل قائدا في جيشه يحارب روما أينما حلت .

حنبعل: إن العمارة الصغيرة التي وضعتموها تحت أمرتي يا مولاي في آخر الوقت، قد توسطت بحر اليونان واتخذت مركزها تعترض سير الأسطول الروماني، ولقد أبدى رجالنا من ضروب الشجاعة والبطولة ما لا يستطيع لسان وصفه.[29] ليستمر الصراع الدائم بين البطل حنبعل وروما . وبعدما انكسرت شوكة الملك أنطيوحس توجه حنبعل نحو مملكة "بتينيا" اليونانية حينما أمرت روما الملك أبروزياس بتسليمهم حنبعل وهذا بعدما هددت هذا الأخير بتدمير مملكته عن آخرها لو لم ينفذ ما طلبت منه.

فلامينيوس : أيها الملك أبروزياس، إننا باسم مجلس الشيوخ الروماني، وبأمر منه جئنا نشعركم بأننا نعلم المكانة التي ينالها بينكم عدونا حنبعل ونعرف الدسائس التي يبذلها لكي يعيد الكرة . علينا، ويجعل مملكتكم هذه مركز حركة لمهاجمة البلاد العائشة تحت راية السلام الروماني . إننا قهرنا جميع من نصر حنبعل، وتتبعناه من قطر إلى قطر. ونريد الساعة أن نطوي نهائيا الصفحة ونستريح من هذا المشاغب الأ نكد. فبأمر مجلس الشيوخ نريد منكم أن تسلموا لنا عدونا حنبعل، نرجع به مصفدا إلى روما، فإن لم تفلوا في الحين ما أمرتكم به فجندنا سيقتحم مملكتكم ويحطم دولتكم وسيبيع نساءكم وأولادكم في سوق الرقيق، فكروا في الأمر وسنرجع في الحين .[30]

هذه الكلمات الخارجة من القائد فلامينيوس تدل على أن الصراع بين روما وحنبعل وصل إلى ذروته فهي مستعدة بأن تحارب دولة بأكملها من أجل الظفر برأس البطل القرطاجني حنبعل هذا لأنه يمثل لها مصدر قلق فهو قام بتأديبها أكثر من مرة ، بل وحاربها في عقر دارها وكاد أن يقضي عليها لولا غدر الخونة الذين لم يرسلوا له المدد العسكري .

فهي تريد القضاء عليه نهائيا لأنه يحمل أفكار المقاومة والتحرر وهذا ما يشكل خطرا دائما عليها . بعد زيارة القنصل الروماني فلامينيوس عاقبها اجتماع عاجل لشيوخ الدولة والذين رست أفكارهم على أمر موحد وهو تسليم البطل حنبعل . وهذا طبعا إكراها وخوفا من بطش روما وهذا ما لم تتقبله الملكة التي أرسلت الوصيفة المليكة "هيلانا" بأن تأتي بحنبعل وجماعته من الممر السري وعندما وصلوا أخبرتهم الملكة بالأمر ، فغضب معطى بعل وأراد القتال ولكن البطل القرطاجني رفض فكرة قتال من آواه وفضل أن يضع حدا لمسيرته النضالية وهذا بعدا شرب السم الموجود في خاتمه وبهذا ينتهي الصراع الطويل الذي بين روما الظالمة والبطل القرطاجني المقاوم .

5 - **علاقة البطل بالفكرة:** الفكرة التي يحملها البطل القرطاجني حنبعل هي فكرة المقاومة ورفض الظلم بشتى أنواعه . (مقاومة روما الظالمة) هي الفكرة التي حملتها شخصية البطل عبر صفحات هذا النص المسرحي، كما يظهر تمسكه بهذه الفكرة فهو دائما يحث على المقاومة وعدم التخاذل ونلاحظ ذلك في الفصل الأول .

حنبعل: ... علينا بالعمل يا رجال، والاستعداد للأخذ بالثأر ومحو عار الوطن ،علينا بتنظيم صفوف المقاومة، حتى إذا ما دقت الساعة ، حطمنا الظالمين شر تحطيم. والصبر على الذل عار. [31] هذا الحديث الذي قاله حنبعل كان بعد معركة "جاما" التي خسروا خلالها الأسطول البحري. ولكن حنبعل دائما يرفع من المعنويات .

حنبعل: ... إن خسارة معركة حربية ليس هو بالأمر العظيم، إنما الخسران الحقيقي هو انهيار روح المقاومة في الأمة وخضوعها للظالمين خضوع المستكين. ..[32] ؛ أي أن العدو الظالم لن يرحمك أو يشفق عليك إذا استسلمت له بل سوف يدوس عليك ويسحقك . وأن المقاومة هي الحل الوحيد.

يظهر البطل في بداية الفصل الثالث بثوب البطل المقاوم . " لقد ولدتنا أمهاتنا أحرارا، فلا نرضى أن نعيش عيش العبيد وما هي ، أيها الرفقاء ، قيمة الحياة الدنيا ، إن لم تكن حياة عزة وشرف وكرامة. " [33]،إن الحياة في نظر البطل يجب أن لا تكون حياة ذل ومهانة ، بل إن الإنسان المهان لا يعتبر نفسه حيا أصلا . وأن الحياة الحقيقية هي التي تعاش في عِز وكرامة بعيدة عن الذل والمهانة. كما يظهر البطل مرة أخرى ، وهو يرفع في المعنويات .

حنبعل: ارفعوا الرؤوس ! واحذروا أن تتركوا اليأس يستولي عل قلوبكم . إن حياة الأفراد أعوام . وحياة الأمم أجيال وأجيال فإذا خابت آمالنا اليوم، فستتحقق آمالنا لا محالة غدا. خذوا الأمة، ومتنوا الصفوف، واشحذوا العزائم، واعتقدوا أن ساعة الخلاص آتية لا ريب فيها .[34]

البطل القرطاجني حنبعل يرفع من معنويات الحاضرين في القاعة بعد حضور الكنعانيين اللذين يحملان خبر انهزام فيليبس الخامس ملك مقدونيا شر هزيمة والذي يعد حليف حنبعل ضد الرومان والذي لم يتوقع أحد أن ينهزم بهذه الطريقة . لذلك حلّ خوف وتوتر رهيب على وجوه الحاضرين ، ولكن البطل تدارك الموقف وحثهم على عدم ترك

الخوف واليأس يسيطر على تفكيرهم . وبهذا يبرهن مرة أخرى بأنه دائما متمسك بفكرته حول المقاومة وبث روح الأمل في نفوس الشعب .

بعدها أرسل البطل حنعبل معطى بعل كرسول للأمم المقهورة لينشر فكرته حول بث روح المقاومة في الشعوب المقهورة . ولكن روما علمت بذلك وأرسلت رسولا لكي تحذرهم بأنها على علم بما يحدث وأنه يجب أن ترسل رهائن من أشراف القوم والتوقف عن هذه المساعي وإلا تحطيم ما بقي من الدولة . هذا الأمر الذي لم يتحمله اطلاقا حنبعل وأنه يفضل المقاومة والسير بفكره المقاوم على أن ينصاع لها .

حنبعل: (بعد تفكير) كلا! إن رأس حنبعل لن تنحني أبدا أمام الظالمين، لقد قبل من قبل شروط روما الجائرة، يوم كان ذلك القبول واجبا وطنيا ... لكن الوضع تغير، فكفى مذلة ، وكفى هوانا إذا أردتم الرضوخ وقررتم الاستسلام ، فلن يكون ذلك أبدا على يدي . لقد صبرت على وطني مغلوبا، لكني لا أصبر على وطني مهانا ذليلا، أنا مسلم لكم الآن أمركم.[35] بعد ترك حنبعل للملك توجه نحو "حضر موت" ليقاوم روما مرة أخرى وهذا بعدما أقر المجلس الرضوخ لمطالب روما. وهو الأمر الذي لم يتحمله حنبعل فهاجر هو وبعض رفاقه ليكملوا المقاومة تحت إمرة الملك أنطيوخس ونلحظ ذلك من خلال الحوار الذي دار بين الملك وحنبعل.

الملك: لقد قمت بالواجب أيها البطل ووفيت بالعهد وإننا لنعترف اعتراف الأشراف من الرجال أننا لو اتبعنا نصائحك وأصغينا إلى أقوالك . ونفذنا برامج منذ الساعة الظاولى لما حاق بنا هذا الدمار الأليم .

حنبعل إن الحياة يا مولاي كفاح مستمر ، وجهود متواصلة .. فلنستعد الاستعداد العظيم لمعركة بلاد الشام وأصقاع العرب فتلك المعركة آتية لا ريب فيها. .. [36]

ليواصل البطل التمسك بفكرة المقاومة سواء على أرضه أو خارج وطنه في سوريا وبعد هزيمة الملك أنطيوخس تفرقا على كلام حنبعل الذي يصرّ على المقاومة في أماكن أخرى.

حنبعل: وداعا أيها الرفقاء المنكوبون ، لقد التقينا مجاهدين وافترقنا مجاهدين، فانتظروا أنبائي من ميادين أخرى، وعسى أن يجمع بيننا يوم نصر قريب.[37] فهو بذلك متمسك بالفكرة والوقوف ضد روما الظالمة أينما حل في أي مكان وزمان. فروح المقاومة والنضال منحوتة في قلبه فهو يعيش ويموت على فكرة المقاومة . وهذا ما نراه , وهو في سكرات موته يوصي معطى بعل ومن معه بالرجوع إلى أرض الوطن .

حنبعل: ارجعوا مسرعين لأرض الوطن، واعملوا على مقاومة اليأس والقنوط. وحدّوا صفوف الأمة ونظموا المقاومة فالأعداء لن يتركوكم تستريحون.. [38]

فمنذ بداية النص المسرحي وشخصية البطل حنبعل متمسكة بفكرة المقاومة والنضال حتى نهايتها فقد عاش ومات على فكرة مقاومة روما.

6 - خيبات البطل: أول خيبة تعرّض لها البطل حنبعل هي خيانة قبيلة حنون له بعد معركة "كانة" بعدم إرسال له المدد عندما كان يحاصر روما وكاد أن يقضي عليها ويظهر هذا في بداية المسرحية على لسان رجل من قبيلة برقة " لولا أنكم خنتم حنبعل الكبير وهو في أوج عزته، وسمو انتصاره وبذلتم أقصى الجهود سرا وعلنا، لمنع المدد عنه عندما خيّم على مدينة روما بعدما طحن الأعداء وشتت شملهم في كانة لكنا الساعة نحن وإياكم ندير كاسات الراح في مدينة روما.."[39] أما الخيبة الثانية هي حينما انهزم في معركة "جاما" وحاول بعدها أن يلملم شتات روح المقاومة ولكن لتفطن روما بذلك جعل المجلس والوزراء يقررون عدم المقاومة وهو الأمر الذي أصاب البطل القرطاجني بخيبة أمل من قراراهم هذا وهو ما دفعه لترك منصبه كسبط.

حنبعل:لقد قضي الأمر وانتهى الجدال فاختاروا لأنفسكم أيها القوم سبطا غيري واستسلموا كما أردتم ... [40] بعد هذه الخيبة التي جعلته يتنازل عن ملكه ويهاجر إلى أنطيوخس ملك سوريا والذي بدوره خيّب ظنه في إحدى المعارك بعد إرسال له المدد اللازم مما جعله ينهزم ويظهر هذا في قول أحد القادة.

القائد: لو أننا وفينا ا مولاي بالوعد لحنبعل، وأمددناه منذ الساعة الأولى بالعشرة آلاف مقاتل والألف فارس والثلاثمائة سفينة وقد قطعتم له عهدا بذلك لكنا الساعة قد أخمدنا أنفاس روما وحررنا بلاد اليونان كافة من ظلامها ومن ظلمها. [41]

كل هذا بفعل الأنانية والحسد والغيرة من حنبعل فقد خشوا أن يعلوا نفوذه لأن الجنود أحبوه و افتتنوا به وبمهاراته التكتيكية والحكمة أثناء المعارك . أما الخيبة الأخيرة التي وقعت لحنبعل فقد كانت في بلاد اليونان "بتينيا" حينما قاموا بخيانته ومحاولتهم تسليمه لروما وهذا بعدما رحبوا به ومن معه من المهاجرين، ولكن عِزة حنبعل جعلته يقتل نفسه أفضل من أن يقع أسيرا بين أيدي روما .

حنبعل: (بجلال وسكينة) لن أقع حيا بين يدي الرومان إن أوصدوا دوني الأبواب وسدّوا المنافذ ، فخلاصي هاهنا (يشير إلى خاتمه الفضي) لقد كنت منذ أربعين سنة أتوقع مثل هذه الساعة الرهيبة وأحضرت لها ما يلزمها من علاج . .[42]

وهو ما حصل بالفعل فبعد خيانة الملك له قام البطل حنبعل بإحداث ثقب في خاتمه وتناول السم ليقع صريعا ميتا فقد فضل الموت بعزة وشرف مثلما عاش في عزة وشرف.

7 - نوع البطل: نوع البطل في مسرحية حنبعل هو بطل مقاوم وهذا ما يظهر جليا منذ بداية النص المسرحي، حيث إن الشخصية البطلة في صراع ومقاومة ضد روما، ومثال ذلك قول حنبعل : " ... إن خسارة معركة حربية ليس هو بالأمر العظيم، إنما الخسران الحقيقي هو انهيار روح المقاومة في الأمة . وخضوعها للظالمين خضوع المستكين . "[43]

في هذا المقطع يحث البطل القرطاجني حنبعل وزراءه والمجلس بأن المقاومة هي الهدف المنشود ليس الاستسلام والرضوخ لمطالب روما، وأن خسارة معركة ليست نهاية العالم فهو يبث روح المقاومة في النفوس كما أن الفكرة التي يتبناها البطل حنبعل والتي ذكرناها سابقا هي تعلقه بالمقاومة حتى آخر أنفاسه .

8- نهاية البطل : كانت نهاية البطل في مسرحية حنبعل حين قام بشرب السم من خاتمه ليقع بعدها صريعا فقد فضل أن يموت بعزة وشرف على أن يقع أسيرا بين يدي روما ويكيدوا له .

حنبعل: (يسقط على مقعدٍ متأوهاً) آه . الساعة يا رفقاء جهادي سيغيب عنكم حنبعل فليستريح بال روما اليوم وإنما الويل لها في الغد القريب ، ستسقى روما من الكأس التي جرعتها الأمم وإن مصرع الظالمين لوخيم... وها أنا ذا أموت عدوا لك أيتها الغادرة الخؤون. (تخور قواه) وداعا وطني وداعا أمتي وداعا رفقاء جهادي ويل للظالمين، أنا أموت فلتحيا الحرية والمجد للوطن!. (يموت فيسقط رأسه على جانب الكرسي في جلال وعظمة ويركع له حوله رفقاؤه يبكون وينتحبون)[44] وبهذا تكون نهاية البطل هنا هي نهاية مأساوية .

9- خاتمة:

انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج وهي :

- لم يقم الكاتب برسم البعد الجسمي مباشرة ، بل ترك القارئ يكتشفه بنفسه وذلك من خلال حوار الشخصيات الأخرى. إلا أنه ذكر مقطعا في أواخر المسرحية يدل بعض الشيء على بعض الملامح الجسدية. أما بالنسبة للبعد الاجتماعي فهو حاكم قرطاجنة وسبطها ليترك بعد ذلك منصبه كحاكم ويهاجر مع رفاقه لإكمال مسيرته النضالية ضد روما كما كان مزاجه والحالة النفسية دائما في اضطراب وقلق وهذا محاولة منه التغلب على روما ومحاربتها.
- كان البطل حنبعل متمسكا بفكرة مقاومة روما في أي مكان وفي أي زمان حتى آخر أنفاسه.

- نوع البطل في مسرحية حنبعل هو بطل مقاوم لروما حاربها في بلاده وفي بلاد سوريا وفي اليونان، حتى أنه حاربها في عقر دارها، كما نجده تعرض لعدة خيبات وانكسارات أغلبها من الخيانة الداخلية .

- كانت نهاية البطل نهاية مأساوية وهذا بعدما تعرّض للخيانة من طرف ملك بتينيا . ولكنه فضل أن يموت بالسم على أن يقع بين أيدي الرومان.

الهوامش :

1 - جوزيف كامبل : البطل بألف وجه، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، تر: حسن صقر ، سوريا ، ط1، 2003، ص ص 31.

2 - حنبعل، ص 18.

3 - حنبعل،ص 74.

4 - حنبعل،ص 22.

5 - حنبعل، ص 38.

6 - حنبعل، ص 21.

7 - حنبعل، ص 46.

8 - حنبعل، ص 45.

9 - حنبعل، ص 54.

10- حنبعل، ص 66.

11- حنبعل، ص 69.

12- حنبعل، ص18.

13 - حنبعل، ص 18

14 - حنبعل، ص 19.

15 - حنبعل، ص 22.

16 - حنبعل، ص 42

17 - حنبعل، ص 43.

18 - حنبعل، ص 44

19 - حنبعل، ص 45.

20 - حنبعل، ص 56.

21 - حنبعل، ص 59. 60.

22 - حنبعل، ص 76.

23- حنبعل، ص 20. 21.

24 - حنبعل، ص 28.

25 - حنبعل، ص 34.

26 - حنبعل، ص 41.

27 - حنبعل، ص 42

28 - حنبعل، ص 43.

29 - حنبعل، ص 54. 55.

30 - حنبعل، ص 69.

31 - حنبعل، ص 28.

32 - حنبعل، ص 29.

33 - حنبعل، ص 27.
34 - حنبعل، ص 40.
35 - حنبعل، ص 44. 45.
36 - حنبعل، ص 55. 56.
37 - حنبعل، ص 63.
38 - حنبعل، ص 78.
39 - حنبعل، ص 12. 13.
40 - حنبعل، ص 45.
41 - حنبعل، ص 51.
42 - حنبعل، ص 77.
43 - حنبعل، ص 29.
44 - حنبعل، ص 79.